حسن سليمان: لوحاتي وكتاباتي هي سيرتي الشخصية

حسن سليمان: لوحاتي وكتاباتي هي سيرتي الشخصية غازي انعيم

يعد الفنان المصري الراحل حسن سليمان أحد الرموز التشكيلية المهمة التي ظهرت في الحركة التشكيلية المصرية في نهاية خمسينات القرن الماضي ، ويعد أيضاً من الطليعة الثقافية في مصر حيث برز اسمه إلى جانب الفن كناقد وصحفي من خلال العديد من المجلات الثقافية.

والفنان حسن سليمان الذي رحل عن عالم الفن والكتابة بعد رحلة طويلة مع الإبداع له العديد من المؤلفات في الفن التشكيلي ، أبرزها: ذلك الجانب الآخر في فهم موسيقى الشعر والتشكيل ، وسيكولوجية الخط والحركة والملمس ، وكيف تقرأ صورة ، وحرية الفنان وكتابات في الفن الشعبي ، فضلاً عن عشرات المقالات النقدية والترجمات القيمة.

ـ فمن هو فناننا الراحل؟

ولد الفنان حسن سليمان في 25 أب 1928 بالقاهرة في حارة طه بك السيوفي بالسكاكيني ، وكان للبيئة التي نشأ فيها ، دور مهم في صقل ملكاته الإبداعية ، كما ساهم في ذلك أيضاً عمه عالم البصريات المرموق أحمد فخري ، الذي كان يصطحبه معه منذ طفولته المبكرة في رحلات التنقيب على الآثار المصرية ، وبعد أن اشتد عوده قرأ الشعر والأدب والفلسفة وعلم الجمال ، وعلم الاجتماع والفلكلور إلى جانب ترجمته للشعر العالمي وتذوقه للموسيقى... وكان إيمانه بالقراءة مرادفاً لإيمانه بالإبداع بالكتابة والرسم.

في عام 1951 حصل على بكالوريوس الفنون الجميلة من جامعة القاهرة ، في مجال التصوير ، وتتلمذ في تلك الجامعة على يد أساتذة كبار أمثال الفنان أحمد صبري.. وهو مثل أي فنان حقيقي كان الفنان حسن سليمان متأثراً بأستاذه..

في هذه المرحلة كان حسن سليمان"يسكن في البيت المجاور لمكتب المخرج الراحل يوسف شاهين (شارع »شامبليون« ، وسط القاهرة). البيت سكنه ذات يوم ، أثناء منفاه القاهري ، الرئيس الجزائري أحمد بن بيلا الذي ارتبط بعلاقة قوية مع سليمان في الخمسينيات. وعندما انتصرت الثورة وعاد إلى الجزائر ، ترك المكان لصديقه المتحمّس للثورة حسن سليمان ، الذي كان يعتزم التطوّع في صفوف الثوار ".

وقد حوّل الفنان سليمان جزء من البيت إلى مرسم خاص به ، وبعد ذلك حوله إلى مدرسة تعلّم فيها عدد من الفنانين ، معظمهم الآن يحتلون الصف الأول في الحركة التشكيلية المصرية ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، الفنان حسن راشد الذي قال:"لقد درست الرسم أكاديميا لكني تتلمذت على يد الفنان الراحل حسن سليمان الذي أدين له بالفضل العظيم ، فقد كان أستاذا ومعلما وصديقا ما زلت رغم مرور ما يقرب من أربعين عاما أطبّق ما تعلمته منه في رسوماتي ولوحاتي ، ولم تكن مكانتي عنده تقل عن مكانته لدي".

في ستينات القرن الماضي أثر فيه الكاتب يحيى حقي الذي كان يرأس وقتذاك مجلة الكاتب ، حيث طلب منه العمل في المجلة ، وقد ساهم حسن سليمان من خلال كتاباته النقدية ورسوماته المصاحبة للشعر والنصوص الأخرى ، في رفع الذائقة الجمالية لدى القارئ وبشكل خاص لدى الأوساط الثقافية.

في عام 1966 م ، حصل على دراسات عليا في سيكولوجيا البعد الرابع من أكاديمية بريرا في ميلانو ، في هذه المرحلة اهتم سليمان بالطاقة الكامنة في موضوعات رسمه ، كما نحا نحو التجريدية عندما استخدم قصاصات من أوراق الصحف إلى جانب الألوان وبعض الخامات أثناء عمله في مجلة الكاتب وهو المعروف بابتعاده عن التجريد ، وقد منحته تلك القصاصات إمكانيات لا نهائية كما يقول سليمان في ملصق المعرض الذي صممه وصاغ نصه الخطاط السوري منير الشعراني ، ويضيف سليمان: لقد اطمأنت هذه القصاصات في أماكنها ، لكنها ما زالت تمنحني الشعور بامكانيات لا نهائية لتسكينها في حيز ما ، هذه هي وظيفة الفن.

في تسعينات القرن الماضي كانت تحولات المدينة هي شاغله الأكبر.. فأنجز مجموعة من الأعمال... قام بعرضها في عام 1996 في قاعة"اكسترا"بالزمالك ، وحمل المعرض عنوان"مدينة القاهرة"، وفي الكلمة التي كتبها لتقديم معرضه ، اقتبس الفنان حسن سليمان مقولة للشاعر الفرنسي بيار ريفردي:"الشارع قاتم ، والسماء ساطعة ".

كانت تلك المقولة"إشارة البدء لكي يبرع في توظيف الضوء والظل في البنايات التي صورها في زقاق قديم ، هذا المعرض الذي عاب عليه النقاد بعده عن الحداثة نال نجاحاً لافتاً لأنه جاء بعد فترة انقطاع طويلة.

وفي عام 1998 أقام معرضاً له في قاعة"الهناجر"للفنون ، قدم فيه 39 لوحة من الطبيعة الصامتة متضمنة العديد من العناصر مثل الجرار والأواني... وتميزت أعمال هذا المعرض بالصفاء والحركة ، وبالرهافة والسكون ، وكذلك بتلك الحواريات من الأضواء والظلال ، حيث صور عناصره في ظلال قاتمة وأضواء ساطعة تعكس أجواء درامية عديدة...

والمتتبع للمراحل التي مر فيها يلاحظ أنه ألح على رسم العديد من العناصر على مسطحات لوحاته مثل ، الشرفة ، والنوافذ وأفاريزها ، والمطلات من النوافذ ، وعتبات الأبواب ، والحارات ، والهلال ، وبورتريهات ، وموتيفات إسلامية ، والملتفات بالملاءات ، والجالسات خلف ماكينات الخياطة ، والكرسي الخشبي الذي صور عليه الكثير من نساء لوحاته ، والحيوانات... صور كل ذلك بأسلوبه المميز المعتمد على تباين الظل والنور.

ويصف الدكتور مصطفي الرزاز أسلوبه ومنهجه في كتابه »الفن المصري الحديث« بقوله:"إنه اعتمد على الاختزال والتلخيص في الصورة الفوتوغرافية إلى ما يشبه السلويت ، كان يركز على الكليات المعبرة ويتضح ذلك بالأخص في لوحته النورج ".

واجه الفنان الراحل وهو في الثمانين من عمره مشاكل صحية زادت حدتها في السنة الأخيرة ، خصوصاً ما يتعلق بالكلى والرئة ، وقد خضع لرعاية وفحوص طبية في أحد المستشفيات ، وعاد إلى منزله قبل وفاته بيوم.. وفيما كانت تقدم له السيدة التي تقوم على خدمته ، وجبة إفطار صباح الجمعة 15 ـ 8 ـ 2008 وجدته قد فارق الحياة.

وقد شيعت جنازته من مسجد الكيخيا بميدان الأوبرا بحضور عدد كبير من الفنانين التشكيليين والكتاب والمثقفين وعلى رأسهم الكاتب الكبير بهاء طاهر الذي تربطه صداقة عميقة بالفنان الراحل ، والذي قال:"أن سليمان ترك وصية طلب فيها عدم نشر نعيه بالجرائد إلا بعد جنازته وعدم إقامة سرادق للعزاء ".

وأضاف بهاء للصحف:"أظن أنه أوصى بهذه الوصية أسوة بأستاذه يحيى حقي الذي يعد سليمان من أبرز ومن أخلص تلاميذه ، إيماناً منهما بأن الذكرى الحقيقية التي ستبقى لأي فنان هي أعماله وليس أي شيء آخر ، لذلك فلا داعي للمجاملات التي يأتي بعضها صادقاً وبعضها غير ذلك ".

هكذا رحل الفنان حسن سليمان بصمت وبهدوء ، لكنه سيبقى حياً بعطائه وإنتاجه وكتاباته.. وهو الذي لم يرض يوماً أن يضع سيرته الشخصية في كتالوج من كتالوجات معارضه قائلاً:"لوحاتي وكتاباتي هي سيرتي الشخصية ".

أخيراً ، حصل حسن سليمان على جائزة أجمل فترينة صممها لمحال"الصالون الأخضر ، كما أسس سليمان مجلة غاليري عام 1977 ، وصمم الديكور والملابس والإضاءة لعدد من المسرحيات التي عرضها المسرح القومي ، وأشرف على إخراج وتحرير باب الفنون التشكيلية في مجلة الكاتب ومجلة المجلة والإذاعة المصرية.

وحصل حسن سليمان على بعثة إلى الأقصر لمدة عام من 1952 إلى 1953 بمرسم الفنون الجميلة.. كما حصل على دراسات في أسس التصميم ودراسات حول مساجد القاهرة على رأسها مسجد السلطان حسن والشيخة صفية وخصائص العمارة الإسلامية.

وشغل الراحل حسن سليمان ، الذي أقام أكثر من (60) معرضاً فردياً داخل مصر وخارجها.. مجموعة من الوظائف ، منها: مدرساً للرسم في الجامعة الشعبية للهواة ثم في الثقافة الجماهيرية ، ومدرساً بمعهدي السينما وكلية الفنون الجميلة في الفترة بين عامي 1964 1972و ، كما شغل وظيفة أستاذ الدراسات العليا في جامعة بلاكسبورج ، قسم العمارة في ولاية فيرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

وللفنان الراحل حسن سليمان مقتنيات في متحف الفن الحديث ومتحف الفنون الجميلة بالإسكندرية ، فضلاً عن مجموعات خاصة بمصر وخارجها.

ه ناقد وتشكيلي أردني

ghaziinaim@yahoo.com